موريتانيا من التدخل الأوربي إلى الهيمنة الفرنسية

نور الدين صابر
طالب دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر
قسم التاريخ – جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

الملخص:

شهدت موريتانيا كباقي الأقطار المغاربية حملات استكشافية أوربية, تسترت تحت غطاء المعاملات التجارية مع القبائل المحلية, و قد ازداد التنافس الأوربي للسيطرة عليها ,لتتمكن فرنسا من الإنفراد بالهيمنة على المنطقة من خلال إقامة المعاملات التجارية و المعاهدات مع زعماء القبائل الموريتانية, لتتحول هذه الهيمنة إلى فرض الحماية الفرنسية على موريتانيا , و تدين فرنسا بهذا الإنجاز لمهندس الاستعمار الفرنسي لموريتانيا "كزافيي كبولاني" الذي سنتطرق إلى الدور الذي قام به في هذا المجال في الفرصة القادمة بإذن الله.

الملخص بالانجليزية:

Mauritania has been subjected to a European expansionist movement since the 14th century, following the political disintegration of the Islamic Maghreb in the second half of the thirteenth century. It was subjected to exploratory missions organized by the European powers: Spain, Portugal, Britain and France, in addition to the participation of the Netherlands and Belgium. Since the age of geographical discoveries at the end of the fifteenth century and subsequent periods.

France, by virtue of its geographical location and religious status, is one of the most prominent colonial powers that ruled the course of the Maghreb in general and Mauritania in particular. France began to exist in the region since the 17th century, where its presence was only for commercial purposes. Mauritania has intensified competition among European countries on the gum arabic and as the situation worsened as a result of this competition France initiated agreements with the Mauritanian tribal princes in order to conduct the trade of gum free of charge in return for taxes and gifts paid annually to the princes of these tribes Thus, the commercial activity began to explore the region during the second half of the nineteenth century, which carried colonial intentions. The exploratory campaigns continued on Mauritania in order to obtain enough information to fulfill the

colonial purpose. This was done by knowing the internal conditions of the Mauritanian tribes, To Mauritania, and all this resulted in the many differences and unrest within Mauritania, especially in the last years of the nineteenth century, which hastened the annexation of Mauritania to the French colonies.

مقدمـة:

تعرضت موريتانيا لحركة توسعية أوربية منذ القرن الرابع عشر، و هذا بعد التفكك السياسي الذي أصاب بلاد المغرب الإسلامي بسقوط دولة الموحدين في النصف الثاني من القرن الثالث عشر , حيث تعرضت لبعثات احتلالية استكشافية نظمتها القوى الأوروبية اسبانيا، البرتغال، بريطانيا وفرنسا بالإضافة إلى مشاركة هولندا وبلجيكا منذ عصر الكشوفات الجغرافية نهاية القرن الخامس عشر والفترات اللاحقة.

و تعد فرنسا بحكم الموقع الجغرافي والمكانة الدينية من أبرز القوى الاستعمارية التي تحكمت في مسار المغرب العربي عامة وموريتانيا خاصة, حيث بدأت فرنسا التواجد بالمنطقة منذ القرن السابع عشر أين كان تواجدها في تلك الفترة لأغراض تجارية فقط، ذلك أن تجارة الصمغ عرفت حركة تجارية كبيرة في موريتانيا فقد اشتد التنافس بين الدول الأوروبية على الصمغ العربي ومع تأزم الوضع جراء هذا التنافس بادرت فرنسا بعقد اتفاقيات مع أمراء القبائل الموريتانية بغية ممارسة تجارة الصمغ بحرية مطلقة مقابل ضرائب وهدايا تدفع سنويا لأمراء هذه القبائل، ومن ثم اتسم النشاط التجاري بالاستكشاف حول المنطقة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذي حمل في طياته نوايا استعمارية، حيث تواصلت الحملات الاستكشافية حول موريتانيا بغية تحصيل معلومات كافية تفي بالغرض الاستعماري وهذا من خلال معرفة الأوضاع الداخلية للقبائل الموريتانية ضف إلى ذلك عادات وسلوكيات المجتمع القبلي لموريتانيا، وترتب عن هذا كله كثرة الخلافات والاضطرابات داخل موريتانيا خاصة في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، الأمر الذي عجل بضم موريتانيا إلى المستعمرات الفرنسية.

جذور التدخل الأوربي في موريتانيا:

يعود الكشف الجغرافي لسواحل موريتانيا حسب بعض المؤرخين إلى رحلة حانون القرطاجي بعبوره مضيق جبل طارق أو كما كانت تسمى في ذلك العصر بأعمدة هرقل,و بعد 20 قرنا من ذلك حاول الجنويون و العرب بعد ذلك من اكتشاف سواحل إفريقيا الغربية و الدوران حول إفريقيا و التي وصفت مناطق داخلية منها في كتاب المسالك و الممالك للبغدادي, أما البداية الفعلية للرحلات الكشفية في موريتانيا فتعود إلى القرن الخامس عشر ميلادي مع

البرتغاليين ففي سنة 1455م, وصل اجواو فيرناندیز إلى ودان, تلته رحلة أبور آمبورت البحارة الفرنسي, الذي وصل إلى شواطئ موريتانيا سنة 1630م [1], إلا أن هذه الرحلات أخذت منعطفا حاسما في بداية القرن التاسع عشر بعد أن خلا الجو للفرنسيين في المدة من 1824إلى 1901م [2].

اتسم الكشف البرتغالي لساحل غرب إفريقيا في بداية الأمر بالبطء,لكن بعد ذلك بدأ يسير سيرا حسنا,و قد أرسلت البرتغال بعد بسط سيطرتها على السواحل الإفريقية بعثات تجريبية لرسم الخرائط و وصلوا بذلك إلى الشواطئ الشنقيطية سنة 1394 في عهد هنري الملاح (1394-1460) إبن ملك البرتغال يوحنا الأول حتى وصلوا ودان في منتصف القرن 15 م. [3]

و في عام 1418م اكتشف البرتغاليون "جزر ماديرا" ثم جزر"الآزور" سنة 1439م و في عام1441م طافوا حول "راس بلانكو"، ثمّ اكتشف "دنيس دياز" جزيرة "نونو تريستا" وتعرف كذلك بجزيرة "أرجوين" عندئذ اكتشف البرتغاليون قيمة هذه الكشوفات، وفي الفترة ما بين 1444م و1445م وصل "دياز" إلى مصبّ نهر السّنغال و"جزر الرّأس الأخضر" و"غينيا". [4]

و قد كانت جزر ماديرا و ما جاورها أول المستعمرات البرتغالية خارج الديار و هاجر إليها المستعمرون البرتغاليون و واصلوا حتى اكتشفوا جزر الرأس الأبيض ,كما ذكرا آنفا سنة 1441م والرأس الأخضر سنة 1446م, و في عام 1460م وصلوا إلى سيراليون .

هنا استطاعت البرتغال أن تدخل العامل التجاري في الكشوفات الجغرافية خصوصا بعد أن تعودوا على الرحلات البحرية و أصبحت السفن التجارية البرتغالية على درجة كبيرة من الصناعة, كما أتقنوا إلى جانب الملاحة فن الحرب و أصبح الملاح البرتغالي محاربا ممتازا خصوصا في القارة السمراء, و قد واصلت البرتغال سياستها الكشفية و الاستعمارية, وكانت ترمي إلى إنشاء مملكة مسيحية في غرب إفريقيا لاتخاذها مركزا لغزو دواخل القارة, و هنا نلاحظ سببين لاجتياح البرتغال لهذه القارة العامل الديني و الاقتصادي [5].

أغرت البرتغال تجارة الصّمغ والذّهب والرّقيق فاستقرّوا بالسّاحل وأسّسوا مراكز تجارية لهم وتحكّموا فيها قرابة القرنين من الزّمن، هذه المراكز تمكّنهم من التّحكّم في طرق القوافل

[1] محمد المختار ولد سيد محمد الهادي،**موريتانيا خلال قرن من الزمن1899/1999م**،بغداد 2000،ص 38 .

[2] جيليه,**التوغل في موريتانيا اكتشافات...استكشافات...غزو**, تر:محمدن ولد حمينا, ص-ص 19-23.

[3] تسلم بنت محمد حرمة ،كبولاني و سياسته في موريتانيا ،متريز،جامعة انواكشوط، 1991-1992، ص 16

[4] فيج .جي. دي، **تاريخ غرب إفريقيا**، تر: يوسف نصير، دار المعارف، ط1، مصر 1982، ص-ص, 110-112.

[5] زاهر رياض,**استعمار إفريقية**,الدار القومية للطباعة و النشر, القاهرة,1965,ص22-ص23.

التّجارية الّتي تعبر المنطقة شمالا وجنوبا، لكن جهودهم لم تسفر إلاّ عن احتلال بعض المراكز السّاحلية لفترات محدودة.[1]

وصل البرتغاليّون في النّصف الأوّل من القرن 15م إلى سواحل موريتانيا وزار "Joas Fernandez" منطقة "وادان" الواقعة شرقي آدرار، وفي عام 1448م أنشا البرتغاليّون حصن "أرجيوم" وهو مقابل للرّأس الأبيض ومنه توغّلوا نحو المناطق الدّاخلية فتقدّموا صوب السّودان الغربي بهدف الوصول إلى مدينة "تمبكتو" الّتي ذاعت شهرتها بسبب كثرة مناجم الذّهب بها، ولكنّهم سرعان ما انصرفوا إلى تجارة الرّقيق وأصبحت "آرجيوم" هي المركز الرّئيسي لتجميعه ومنها كان ينقل عبر الأطلسي.[2]

كان سقوط غرناطة 1492م و هزيمة المسلمين بالأندلس قد دفع بالنصارى إلى اللحاق بهم في عقر ديارهم و زيادة على هذا فإن التفكك السياسي الذي أصاب المغرب الكبير قبل ذلك أي بعد سقوط دولة الموحدين في النصف الثاني من القرن 13م (1269م), عرض موريتانيا و ابتداءا من القرن 14م لبعثات استكشافية كان الغرض منها الاحتلال,نظمتها القوى الأوربية البرتغالية والإسبانية والفرنسية و الإنجليزية, و بمشاركة هولندية و بلجيكية منذ عصر الكشوفات الجغرافية نهاية القرن 15م و الفترات اللاحقة.[3]

لم يستقر الأمر للبرتغاليين في المنطقة ففي القرن 17م ازداد التّنافس بين الدّول الأوروبية وظهرت هولندا كدولة بحرية كبيرة واستطاعت عام 1638م انتزاع "الآرجيوم" من البرتغال.[4]

قبل ذلك و في 1626م قامت مؤسسة النورماندي المتمركزة في لوهافر بتشجيع من الكاردينال "دي ريشليه" منشأة تجارية بسان لويس في السنغال و في سنة 1638م أقامت فرنسا أول تحصيناتها عند مصب نهر السنغال بتأسيس سان لويس, و حين تمركزت فرنسا في المنطقة, كانت موريتانيا الجنوبية الغربية مسرحا لصراعات قبلية تمثلت في حرب شربيه (1644-1647م).

---

[1] اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر(قارة إفريقية)**، ج2، دار المريخ للنشر، الرياض، ص169.

[2] الفوزان بن عبد الرحمان الفوزان، **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي**، مج 11،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ط1999،1، السعودية، ص 546.

[3] محمود شاكر, **التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر- بلاد المغرب)** ،المكتب الإسلامي،ط1996،2, ص477.

[4] محمد علي داهش، **دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي**،اتحاد كتاب العرب،
ص 73.

أقامت مملكة بروسيا, التي كانت في فترة صعود, علاقات مع إمارة الترارزة و مع السكان المحاذين للشاطئ الأطلسي في الفترة بين 1685و1721م , و عمل البروسيون على تطوير علاقة تجارية منظمة مع بلاد شنقيط رغم الصراع الذي كان بينها و بين الدول الأوربية.[1]

و كانت مؤسسة ابراندبورغ الإفريقية تصدر إلى مراكزها التجارية في إفريقيا القطع الحديدية و الأواني النحاسية و الأقفال و السكاكين و المرايا و المرجان و التبغ. و في المقابل تستورد, عن طريق آرغين,الصمغ العربي و ريش النعام و العنبر الرمادي و الفلفل و العاج و الذهب و جلود و الفهود و الماعز و الملح و السمك.

و في 29 جويلية1717م نجحت فرنسا عبر الحاكم الفرنسي للسنغال"أندري برو" في إبرام معاهدة مع أمير الترارزة, تحصل بمقتضاها فرنسا على الانفراد بتجارة الصمغ و على الحرية التامة لأسطولها التجاري على سواحل الترارزة أي إلى خمسين كم شمال موقع نواكشط.[2]

و مهما يكن من أمر فإن حضور بروسيا أصلا على السواحل الموريتانية قد انتهى في مارس 1721. و ذلك بسبب الضربات الفرنسية المتتالية على البروسيين[3]. سار على إثرهم الإنجليز و الذين كانوا في صراع طويل مع الفرنسيين فقد حاول البريطانيون مد نفوذهم إلى داخل موريتانيا عبر الاتفاقيات و المعاهدات لبناء مساكن و مستودعات , و ذلك للمحافظة على التجارة و لم تتردد بريطانيا في دفع الجزية مقابل التوغل و التحصن و زيادة نفوذها في لبلاد الموريتانية , وقد أثار ازدياد نفوذ بريطانيا حفيظة فرنسا , و لكن الخلافات التي ظهرت بين الطرفين الاستعماريين سويت في السنة الرابعة للقرن العشرين عبر الاتفاق الذي يقضي بإطلاق يد فرنسا بالمغرب العربي مقابل سكوت فرنسا عن احتلال بريطانيا لمصر , وهذه الاتفاقية ما هي إلا تكملة لمؤتمر برلين الثاني 1885 م الخاص بتقسيم الكعكة الإفريقية بين الدول الاستعمارية الأوربية المتكالبة . التي ازدادت المنافسة بينهم و زاد الطمع في الحصول على الصمغ العربي الذي كانت تشتهر به بلاد شنقيط في ذلك الوقت .[4]

---

[1] إلهام محمد علي ذهني,**جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850-1914)** ،دار المريخ للنشر،الرياض,ص186.

[2] محمد سعيد بن همدي, **موريتانيا و أوربا عبر التاريخ,أطار(موريتانيا)** ،2002, ص-ص ،6-9.

[3] أحمد اسماعيل راشد,**تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث و المعاصر(ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب –موريتانيا)** ،دار النهضة العربية،بيروت،2004,ص239.

[4] محمود شاكر, **المرجع السابق**, ص 478.

شملت هذه الرحلات الأوربية كافة الأراضي الموريتانية, و تعتبر رحلة رينيه كاييه إلى البراكنة سنة 1824م [1], النواة الأولى للعمل الكشفي الفرنسي حيث قضى هذا الأخير بضعة أشهر في موريتانيا و استطاع جمع الكثير من المعلومات, و خاصة منها المتعلقة بالناحية الجغرافية و الاقتصادية و الاجتماعية, أشار بعد رجوعه إلى بلاده بوجود أراضي خصبة بالبراكنة و إلى كثرة المواد الأولية بها و وجود صناعة محلية تلبي حاجيات السكان المحليين[2].

و في سنة 1850 م قامت وزارة البحرية و المستعمرات الفرنسية بإرسال الرحالة اليوبولد باني من أجل القيام برحلة استطلاعية قادته من سان لويس إلى الجزائر مرورا بالصحراء[3]. و قد أشار باني في معرض حديثه إلى النشاط الاقتصادي في أدرار و حث على ضرورة تحويل الطريق التجاري الرابط بين أدرار و وادنون بالمغرب إلى سان لويس. استمرت هذه الرحلة ما يقارب أربعة أشهر جاب خلالها أدرار و شنقيط و سبخة الجل و أراضي الرقيباتو, الساقية الحمراء و وادي درعة و موكادور, و في سنة 1860م قام الظابط العسكري الفرنسي فينصانه برحلة من مدينة سان لويس برفقة ابن المقداد المترجم في الرحلة, فمر بالترارزة و واصل رحلته شمالا فوصل إلى أبورتيندكوآركين ,حيث حصل على معلومات جد هامة عن سبخة الجل و المناطق الشمالية الشرقية, إنتهى به المطاف في أدرار فحضى بمقبلة الأمير ولد عيده و تأتي بعد رحلة فينصانه الرحلة التي قام بها ابورول إلى البراكنة, و قد تم خلال هذه الرحلة جمع الكثير من المعلومات المتعلقة بالسكان و خاصة المعلومات الجغرافية, و من أهم تلك المعلومات الكشفية لبحيرة ألاك و في نفس السنة قام الظابط ماجي صحبة 6 أشخاص برحلة كشفية إلى تاكانت, و قد تمكنت هذه البعثة بفضل الأجهزة التي معها من وضع خرائط مركزة في المنطقة, و ركز ماجي على أهمية المنطقة تجاريا نظرا لوجود مادة العلك فيها. و توقفت الرحلات الاستكشافية و استأنفت بعد ذلك سنة 1879م, مع بول سولي الذي أرسل من قبل وزارة الأشغال العمومية الفرنسية للقيام بمهمة كشفية قادته من السنغال إلى الجزائر, بهدف دراسة إمكانية إقامة سكة حديدية عابرة للصحراء.[4]

آخر هذه الرحلات رحلة بول إبلاش التي كان هدفها دراسة أدرار بصفة عامة, و سبخة الجل بصفة خاصة. إن المتتبع للرحلات الكشفية في موريتانيا يلاحظ أنها كانت طوابير متقدمة من

---

[1] عالي ولد سمير ، استعمار موريتانيا اسبابه ونتائجه ، جامعة انواكشوط2008/2007، ص 17 .

[2] تسلم بنت محمد حرمة ،ماتريز ، جامعة انواكشوط، 1991-1992، ص 16

[3] محمد الراضي ولد صدفن، **السياسات الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا و أثره على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية** ،1994، ص40.

[4] نفسه ص 41.

القوات الفرنسية تحضر للاحتلال ليس إلا, فالمعلومات التي جمعها هؤلاء الرحالة هي عبارة عن معلومات استخباراتية سواء تعلق الأمر بالمعلومات الطبيعية للبلاد التي كانت تشكل التضاريس عقبة أمام المواصلات, حيث درسوا هذه التضاريس بما فيها المناطق الجبلية بأدرار و تاكانت و مناطق الكثبان الرملية على طول الساحل, هذا فضلا عن دراسة هذه البعثات الكشفية لعادات سكان البلاد و تقاليدهم, و قيمهم و دينهم و مساكنهم بالإضافة إلى دراسة البيئة الاجتماعية. إهتم الرحالة بالإمكانيات الاقتصادية للبلاد, كما مهدت الطريق أمام مشروع كبولاني الهادف إلى احتلال موريتانيا[1].

وبهذا أنشأت فرنسا على الساحل الغربي للقارة الإفريقية مراكز تجاري إلى جانب المراكز التي أنشأها البريطانيون و الهولنديون وكانت تشرف على تجارها و ترسل إليهم القناصل من أجل عقد المعاهدات من الملوك و رؤساء القبائل وقد نجحت إلى حد ما في سياستها هذه و قد رضي هؤلاء الملوك و زعماء القبائل في بعض هذه المعاهدات في وضع أنفسهم تحت الحماية الفرنسي لا شيء سوى أن تتيح لهم هذه الحماية على طلب السلاح من أجل التغلب على القبائل الأخرى في دواخل إفريقيا .

و قد أقامت عدة علاقات تجارية مع القبائل الموريتانية و ذلك لسببين أولهما استكشاف المنطقة و ثانيهما معرفة عقلية هذه الشعوب التي تسكن الضفة الشمالية لنهر السنغال في حالة ما إذا ضمتها إلى مملكتها الإفريقية الغربية.

وصل الأسبان بعد البرتغال ولحقهم الفرنسيون ثمّ الهولنديون وسار على إثرهم الإنجليز ووقعت المنافسة وزاد الطّمع في الحصول على الصّمغ العربي.[2]

العلاقات التجارية بين الفرنسيّين والإمارات الموريتانية:

إنّ الشّيء الّذي جذب أنظار الاستعمار إلى موريتانيا هو الصّمغ العربي الّذي تشتهر به لذلك كانت كلّ شركة تحاول أن تحتكر هذه التّجارة لنفسها وأخذت تنشئ مراكز تجارية لها على طول نهر السّنغال، ولم تحل مشكلة السّيطرة إلاّ في عام 1815م عندما أعطيت منطقة السّنغال رسميّا إلى فرنسا بموجب المعاهدة الّتي عقدت بين دول أوروبا الكبرى في أعقاب نهاية الحروب النابليونية، وفي واقع الأمر فإنّ هدف الفرنسيين حتّى ذلك الوقت لم يكن السّيطرة الكاملة على البلاد بل كانوا يهدفون إلى أمرين اثنين: الهدف الأول هو تأمين تجارة الصّمغ والهدف الثّاني منع انتشار نفوذ الموريتانيّين وخاصّة أمراء الترارزة نحو الجنوب (إلى ما وراء نهر السنغال) وعليه فقد تمّ عقد سلسلة من الاتفاقيات بين الفرنسيّين والأمراء الموريتانيين كانت

[1] نفسه . ص 42.

[2] محمد سعيد بن همدي , **المرجع السابق**,ص-ص،6-9

تكفل المصالح التّجارية الفرنسية من التّهديد خاصّة تجارة الصّمغ في مقابل دفع الإتاوات والهدايا للأمراء، وظلّ مفعول هذه الاتفاقيات ساريا طوال القرن 19م مع محافظة موريتانيا على استقلالها على النّظام القبلي في نطاق الإمارات.[1]

أقام الفرنسيّون علاقات تجارية مع القبائل الموريتانية الموجودة على الضّفّة اليسرى من نهر السنغال وكان الغرض من دفع هذه الإتاوات للقبائل هو الإبقاء على تجارة الصمغ وإرضاء هذه القبائل لمنعها من عبور نهر السنغال ومهاجمة الوكالات الفرنسية التجارية، وفي عهد "لويس الرابع عشر" اهتمّ "كولبير" بتثبيت أقدام الفرنسيّين عند مصبّ نهر السنغال فأقام حاميات عسكرية لحماية الوكالات من الهجمات الموريتانية.[2]

نظرا لما حقّقته هذه التّجارة من أرباح للطّرفين فقد أصبح لأمراء القبائل الموريتانية مثل الترارزة والبراكنة ممثّلون تجاريون يتولّون التّجارة مع الأوروبيّين عرفوا باسم "كاتي". أقيمت معاهدات لتنظيم عملية التبادل التّجاري ونذكر منها:

1. المعاهدة التي وقعت بين مدير الوكالة الفرنسية Durent وقبيلة Darman Cour في 02 ماي 1785م تبعتها معاهدة أخرى في 10 ماي من نفس العام وقام بتوقيع المعاهدتين De Repentigny حاكم السنغال.
2. معاهدة وقعت بين Durent و Cory أمير الترارزة في جويلية 1785م لتنظيم تجارة الصمغ .

أما في القرن 19م فنجد عدة معاهدات منها: معاهدك 7 جوان 1810 بين الحاكم ماكسويل و رئيس قبائل البراكنة تتعلق باستئناف تجارة الانكليز الصمغ و دفع الإكراميات و معاهدة 20 ماي 1819 م بين البراكنة و الحاكم الفرنسي جوليان شمالتز تتعلق بالترتيبات الأساسية لتجارة الصمغ[3].

3. معاهدة 1819م مع "عمر بوري" ملك "أوالو" الّتي لها أهمّية إستراتيجية وتدعيما لحسن الجوار بين الطرفين وقد تعمدت فرنسا دفع مبلغ سنوي للملك مقابل قبوله السماح للفرنسيين بالتجارة ,كما تم للفرنسيين توقيع معاهدات اخرى مع قبائل الترارزة و البراكنة وتم تأسيس مركز "داجنا" على الضفة اليسرى لنهر السنغال وقد تزايدت المعاهدات التجارية مع

[1] احمد إسماعيل راشد، **المرجع السابق**، ص 239

[2] محمود شاكر ، **المرجع السابق**، ص 478

[3] اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر(قارة إفريقية)**، ج2، دار المريخ للنشر، الرياض، ص 169

القبائل الموريتانية ففي 25 جويلية 1821 م كانت هناك معاهدة مع البراكنة و ذلك لاستمرار تجارة الصمغ بين الطرفين.

4. 25 جوان 1821مع قبيلة "الدويش" الّتي سمحت للفرنسيّين بإنشاء مركز تجاري.

5. ومنها معاهدة 23 جويلية 1821 بين الحاكم لي كوبي البراكنة , المؤكدة للمعاهدة السابقة في خطوطها العامة.

ودائما في 1821 وقعت معاهدة تم على اساسها فتح محطة تجارية في باكل اسندت مسؤوليتها لايدوعيش الموحدين آنذاك[1].

6. توالت المعاهدات في 19 أوت 1824م و 26فيفري 1826م، 25 ابريل 1829م و24 أوت 1831م وتوضّح لنا هذه المعاهدات المتتالية حرص فرنسا على التّعامل مع القبائل لتمنعها من الإغارة على وكالاتها.

و هناك معاهدة أخرى التي كانت بين أمير البراكنة و كابتن الفرقة الثانية الفرنسية في 05 ماي 1834 يتعهد فيها "احمد سيدي علي" أمير البراكنة بحراسة المراكب الفرنسية و حمايتها من أي هجوم مقابل ذلك يتعهد الطرف الفرنسي دفع جزية معينة إلى الأمير إضافة إلى هدية سنوية[2].

و في سنة 1897م رأت كل من البراكنة و فرنسا أن تدخل تغييرات على علاقاتهما التجارية التي استمرت و لمدة 21 سنة على نفس النمط الذي تمخضت عن اتفاقية 1885م, لهذا السبب رأى الطرفان عقد اتفاقية تعدل بعض بنود هذه الاتفاقية, فوقعتا في 5 يونيو 1879م اتفاقية تؤكد حرية التجارة بغض النظر عن نوعيتها, سواء تم ذلك التبادل داخل أو خارج المحطات التجارية المعروفة, غير أن الهدايا في هذه الاتفاقية لم ينص عليها بشكل واضح.

و في 22 جوان 1880م تم توقيع اتفاقية أخرى بين فرنسا و البراكنة, أبقت على غموض الهدايا كما ورد في الاتفاقية السابقة و إن كانت قد نصت على نصيب الأمير المستحق من تجارة الصمغ و حددته بنسبة(1600) وحدة قطن سوداء, على أن تكون(1400) منها لصالح محمد ولد الهيبه رئيس أولاد أعلي و رئيس محطة سلدية[3].

و يبدو أن الاتفاقية بين فرنسا و البراكنة بدأت تتدفق الواحدة تلو الأخرى و تأخذ خط سير واحد, و هو تحديد المكافأة السنوية التي يستحقها الأمير من العمليات التجارية بينها و بين

---

[1] الفوزان بن عبد الرحمن الفوزان ، **المرجع السابق**، ص 547

[2] إلهام محمد علي ذهني، **المرجع السابق**، ص 188

[3] محمد عبدالرحمن بن عمار،مقال،:**فيدهرب وتوسيع النفوذ الفرنسي في موريتانيا**،مجلة الفسطاط التاريخية، ص 1

فرنسا, و قد يبدو ذلك أكثر وضوحا من الاتفاقيات التي وقعت في 2 أوت 1886م بين أمير البراكنة و السلطات الفرنسية حيث حددت فيها المكافأة السنوية بنسبة(2000) وحدة قطن سوداء, على أن يكون ربعها لرئيس محطة سلدية سيد محمد ولد محد الهيبه الذي تولى رئاسة المحطة في تلك الآونة خلفا لوالده[1].

ثم معاهدة 30 أوت 1884م بين ملك الترارزة محمد الحبيب شخصيا و الحاكم بوجول[2].

و توضح لنا هذه المعاهدات المتتالية حقيقة هامة ألا و هي محاولة فرنسا مهادنة و ملاطفة القبائل الموريتانية كي لا تغير هذه الأخيرة على المنشآت الفرنسية و نهبها و كذا لحماية التجار و المستكشفين الذين كانوا قد بدؤوا بالتأقلم مع الوضع و قد تعلموا اللغة العربية و العادات و التقاليد التي تمتاز بها المنطقة.

إلى جانب هذه المعاهدات التّجارية الّتي لم نذكرها كلّها هناك معاهدات سياسية كالّتي عقدتها مع أمير آدرار في 08 أوت 1892م تعهّدت فيها فرنسا بعدم التّدخّل في شؤون آدرار السياسية.[3]

وكما ذكرنا سابقا فخلال القرن 19م وقّع الفرنسيون معاهدات مع بعض الأمراء المحلّيّين ولكن الموريتانيّين قاموا بهجمات على مراكز التّجارة الفرنسية ممّا اضطرّ بالفرنسيّين إلى التّفكير بالاستيلاء على موريتانيا لتأمين السنغال.[4]

لقد كانت هذه المعاهدات المبرمة بين فرنسا و القبائل الموريتانية تهدف إلى تحديد المراكز التجارية التي يتم فيها التبادل التجاري بين الطرفين, كما أن القبائل الموريتانية التي كانت تهدف من ورائها إلى عدم إتاحة الفرصة أمام فرنسا التوغل داخل البلاد, غير أن التجارة و اتفاقياتها لم تكن كافية لإشباع نهم الفرنسيين في التعرف على البلاد,فما كان أمام الفرنسيين إلا إرسال مستكشفين يجوبون البلاد طولا و عرضا و يلاحظون عن كثب عادات و تقاليد المجتمع الموريتاني, و الثغرات التي يمكن من خلالها التوغل داخل البلاد تمهيدا لاحتلالها, و تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء المستكشفين تقمصوا في معظمهم شخصية التاجر مدعين أنهم مكلفون بمهمة دراسة إمكانية التعاون التجاري مع المنطقة, كما أن غالبية هؤلاء المستكشفين كانوا يحتمون بمظلة الإسلام, إما بانتحاله و ممارسة شعائره أو

[1] محمد سعيد بن همدي ، **المرجع السابق**، ص 13

[2] نفسه، ص 13

[3] إلهام محمد علي ذهني، **المرجع السابق**، ص 190

[4] اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، **المرجع السابق**، ص 170

بحماية إحدى الشخصيات الدينية إذا تمكنوا من إقناعها أنهم لا يريدون شراء البلاد [1] و تبقى أهم هذه الشخصيات هو كبولاني Coppolani الذي كان على دراية بأحوال المسلمين في موريتانيا وقد أتقن اللّغة العربية واطّلع على العادات والتّقاليد الإسلامية، ويمكننا القول أنّ Coppolani هو أوّل من مهّد للسّيطرة الفرنسية على القبائل الموريتانية بفضل تعامله معهم، بل مهّد أيضا للاحتلال الفرنسي لموريتانيا.[2]

الخاتمة:

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولنا فيها فترة من تاريخ موريتانيا بداية من التدخل الأوربي إلى الهيمنة الفرنسية ما يلي:

تعرضت موريتانيا كباقي بلدان المغرب الإسلامي بداية من القرن 15م إلى عدة حملات استكشافية أوربية ضمن ما عرف بالكشوفات الجغرافية .

أول من بدأ باكتشاف الأراضي الموريتانية من الدول الأوربية كانت البعثات الاستكشافية البرتغالية التي أقامت بها مراكز تجارية و حصون عسكرية .

توالي البعثات الاستكشافية للعديد من الدول الأوربية الأخرى كالإنجليزية و الهولندية و الفرنسية .

اكتشاف الرحالة الفرنسيين لأهمية موريتانيا الاقتصادية حيث أقامت العديد من المراكز التجارية في الساحل الغربي لموريتانيا .

نجحت فرنسا إلى حد ما في سياسة التعامل مع القبائل الموريتانية بإرضاء الملوك و زعماء القبائل من خلال بعض المعاهدات في وضع أنفسهم تحت الحماية الفرنسية.

يبقى كوبولاني هو مهندس الاحتلال الفرنسي لموريتانيا و هو أوّل من مهّد للسّيطرة الفرنسية على القبائل الموريتانية بفضل حنكته في التعامل معهم.

[1] أحمد اسماعيل راشد، **المرجع السابق**، ص 238

[2] إلهام محمد علي ذهني، **المرجع السابق**، ص 195-196